

## المواطنة في عصر العولمة وتجليات الهوية

أ.د. مختار رحاب جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر  
أ. نورة هارون جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر

### الملخص:

اكتسحت إفرزات العولمة كل المجتمعات و اتخذت أبعادا عدة: سياسية واقتصادية و ثقافية واجتماعية وقيمة...، كما كانت لها آثار على مفهوم المواطنة وهي صفة المواطن والتي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية عن طريق أنظمة الحكم القائمة لذلك الوطن، وعليه يلتزم هذا المواطن بالولاء لوطنه وخدمته والتعاون مع المواطنين الآخرين، عن طريق العمل المؤسسي أو الفردي الرسمي والتطوعي في تحقيق الأهداف التي يصبو لها الجميع من أجل اضاء الاستقرار والمساواة والعدالة بين افراد الوطن الواحد؛ وهذا ما ينتج لنا هوية وطنية متماسكة التي بدورها تحدد مجموع السمات والخصائص المشتركة التي تميز وطن معين عن غيره، وتشعر مواطنيه بالانتماء وبالتالي الشعور بالهوية ينعكس على شعور المواطن بالانتماء؛ ولكن ما نشهده الآن في عصر العولمة أن الهويات الوطنية بدأت تفقد مرتكزاتها ومقوماتها وخصوصياتها في فضاء مفتوح على جميع الأصعدة، ما انتجت عملية توحيد واندماج للمجتمعات الانسانية تتسم بضرورة التعايش بين هذه المجتمعات وكذلك بضرورة التعايش بين أفرادها من خلال تحقيق المواطنة العالمية... وهذا ما يجعلنا نطرح التساؤل التالي: فيما تتجلى علاقة المواطنة بالهوية في ظل العولمة؟

الكلمات المفتاحية : المواطنة . العولمة . الهوية . الهوية الوطنية

## Citizenship in the age of globalization and manifestations of identity

### Abstract:

The implications of globalization have swept all societies and taken many dimensions: political, economic, cultural, social and value ..., as it has implications on the concept of citizenship, which is the citizen's status and which defines its national rights and duties through the existing systems of governance of that country, and this citizen is committed to loyalty to his country and service And cooperation with other citizens, through institutional work or individual official and voluntary in achieving the goals that everyone aspires to bring stability, equality and justice among the members of one country; This is what produces a coherent national identity which in turn determines the total characteristics and common characteristics that characterize a particular country, its citizens feel belonging, and therefore the sense of identity is reflected in the citizen's sense of belonging. But what we are witnessing now in the era of globalization is that national identities are losing their foundations, Is open at all levels, resulting in a process of unification and integration of human societies characterized by the need for coexistence between these communities as well as the need for coexistence among its members through the achievement of global citizenship ... This raises the question What is the relationship between citizenship and identity in the context of globalization?

**Key words:** Citizenship – globalization – identity - national identitie

## مقدمة:

ترتبط العولمة بالمنحى والاتجاه المعين الذي نتناوله منها، لأنها اكتسحت شتى المجالات وأحدثت فيها تغييرات عميقة، سواء كانت اقتصادية، أو سياسية، أو ثقافية، واجتماعية، وبما أن طرحنا هذا ينطوي تحت الجانب الاجتماعي. فالعولمة أحدثت تغييرات كذلك على مستوى البنى الاجتماعية وعلى المستوى الفكري، فهي تعتبر مزيجاً من الروابط والعلاقات الاجتماعية المتداخلة التي تتجاوز حدود العالم والمجتمعات، وهذا ما ترتب عليها تغييرات على مستوى المواطنة والهوية... فما نشهده الآن في عصر العولمة أن الهويات الوطنية بدأت تفقد مرتكزاتها ومقوماتها وخصوصياتها في فضاء مفتوح على جميع الأصعدة، ما أنتجت عملية توحيد واندماج للمجتمعات الإنسانية تتسم بضرورة التعايش بين هذه المجتمعات وكذلك بضرورة التعايش بين أفرادها من خلال تحقيق المواطنة العالمية أو الكوكبية....

فالمواطنة هنا وفي ظل تداعيات العولمة الراهنة والتغيرات العالمية تمر بمرحلة مراجعة تستهدف كسر حاجزها القومي، وهذا المسار هو الذي تسعى القوى الفاعلة لتوظيفه لمصالحها حيث تتكتل القوميات في العالم المتقدم، بينما يجري تفتيت الأمم الأخرى نحو وحدات أصغر وأضعف. هذا ما جعلنا نطرح عدة تساؤلات:

✓ هل أصبحت المواطنة ترتبط بالخضوع إلى القوى المسيطرة تحت ذرائع العولمة والتخلي عن المواطنة التي ترتبط بالقوم أو بالوطن الخاص؟

✓ ما الذي يمنع من أن تضيق نحو مواطنات أصغر والجماعات الفرعية ذات الجامع اللغوي أو العرقي أو الديني...، وتتجه إلى إحداث نوع من الوحدة التماسك والاستقرار من خلال الاستثمار في التمايزات والتنوع الهوياتي؟

✓ وما الذي يمنع من أن تتوسع نحو مواطنة كونية ذات مرتكزات هوياتية مختلفة؟.

## ماهية المواطنة:

لتحديد ماهية مصطلح المواطنة، نرجع إلى أصل الكلمة فنجد أنها بالنسبة للغة العربية من الكلمات المستحدثة ودخلت إليها على الأرجح في إطار ترجمة التراث الغربي الحديث، وهي تقابل كلمة (Citizenship) في اللغة الإنجليزية، وكلمة (Citoyenneté) في اللغة الفرنسية، وكلمة (Ciudadania) في اللغة الإسبانية، ويأتي الاشتقاق من كلمة (City) الإنجليزية، و (Cité) الفرنسية، و (Cuidad) الإسبانية، وتعني هذه الكلمات في اللغات المذكورة المدينة؛ أما أصل مصطلح المواطنة فهو يوناني، ويرجع لكلمة (Politeia) المشتقة من كلمة (Polis) وهي المدينة.

وقد اشتقت كلمة **المواطنة** في اللغة العربية كما هو واضح من **الوطن**، وجاء في كتاب لسان العرب لابن منظور أن " الوطن: المنزل الذي تقيم به، وهو موطن الإنسان، ومحلّه، والجمع أوطان" وتترجم كلمة المواطنة في بعض المعاجم العربية، بأنها الاسم الذي يطلق على حقوق وواجبات المواطن، وكلمة المواطن وفق المفهوم الغربي الذي اشتق منه، هو الفرد الذي ينتمي لدولة معينة، ويقيم فيها بشكل معتاد ولو لم يولد بها كحالة اكتساب الجنسية، ويحدد الدستور والقوانين العلاقات بين المواطن والدولة وتشمل الحقوق والحريات والامتيازات التي يتمتع بها المواطن، وواجباته ومسؤولياته والتزاماته تجاه وطنه، وبالتالي يمكن القول بأن **المواطنة تعني الروابط القانونية والسياسية التي تجمع الفرد المواطن بوطنه<sup>1</sup>**.

بالاستناد على ما تقدم **المواطنة** هي مجموعة من العلاقات والتفاعلات التي تربط المواطنين بالوطن " الدولة"، حيث تضبطها نظم وقوانين رسمية محددة في دستور الدولة تقر بحقوق وواجبات كلا الطرفين سواء من ناحية المواطن أو من ناحية الدولة على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ وما ينجم عن ذلك من تحديد مكانة المواطن الفعال داخل الدولة التي ينتمي إليها ودوره فيها بوصفه عضوا في كل اجتماعي من حيث علاقاته وتفاعلاته مع الآخرين في المجتمع. وهذا ما يشعره بانتمائه وبهويته الوطنية وولائه لوطنه في نظام ديمقراطي.

#### قيم ومرتكزات المواطنة:

**المساواة والعدل:** تعد المساواة معياراً أساسياً من معايير المواطنة وهذه المعايير تتيح للأفراد التمتع بحقوقهم والقيام بواجباتهم، أي يجب أن يتمتع أعضاء الجماعة الوطنية بحقوق وواجبات متساوية من خلال المشاركة في مؤسسات الحكم السياسية والقانونية والدستورية؛ أما قيمة العدل تعمق الاعتزاز والتضحية لدى المواطن للنهوض في تقدم ورفعة وطنه ومجتمعه، وعكس ذلك في حال تغيبت قيم العدل أو تدني مستواها في المجتمعات، فإنه يخلق حياة تفقر للأمن والاستقرار والتضحية والمشاركة في المجالات المختلفة كافة المتعلقة بالمصلحة العليا لأنه أمر لا يعنيه.<sup>2</sup>

**الانتماء والولاء:** يشير مفهوم الانتماء إلى الانتساب لكيان ما يكون الفرد متوحداً معه مندمجاً فيه، باعتباره عضواً مقبولاً وله شرف الانتساب إليه، ويشعر بالأمان فيه، وقد يكون هذا الكيان جماعة، طبقة، وطن، وهذا يعني تداخل الولاء مع الانتماء والذي يعبر الفرد من خلاله عن مشاعره تجاه الكيان الذي ينتمي إليه.

ويعد مفهوم الانتماء مفهوماً مركباً يتضمن العديد من الأبعاد التي أهمها:

**الهوية:** يسعى الانتماء إلى توطيد الهوية، وهي في المقابل دليل على وجوده، ومن ثم تبرز سلوكيات الأفراد كمؤشرات للتعبير عن الهوية وبالتالي الانتماء.

الجماعية: إن الروابط الإنتمائية تؤكد على الميل نحو الجماعية، ويعبر عنها بتوحد الأفراد مع الهدف العام للجماعة التي ينتمون إليها.

الولاء: الولاء جوهر الالتزام يدعم الهوية الذاتية، ويقوي الجماعية، ويركز على المسابرة.

الالتزام: حيث التمسك بالأنظم والمعايير الاجتماعية.

التواد «التعايش»: وهو من أهم الدوافع الإنسانية الأساسية في تكوين العلاقات والروابط والصدقات.

الديمقراطية: هي أساليب التفكير والقيادة، وتشير إلى الممارسات والأقوال التي يرددها الفرد ليعبر عن إيمانه.<sup>3</sup>

**المشاركة السياسية:** تعد المشاركة جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الديمقراطية وقدرتها على تعزيز الوحدة الوطنية في اندماج فئات المجتمع كافة تحت إطار واحد بغض النظر عن الانتماءات المختلفة، سواء كانت دينية، عرقية، جهوية، طائفية، وجنسية، واتحادهم في مكان واحد ضمن نظام سياسي واحد، للحفاظ على المواطنة الحقيقية تجاه نهضة وتطور الوطن من خلال التلاحم والتسامح والترابط بين أفراد المجتمع عن طريق تعزيز المحبة والابتعاد عن التعصب ونبذ العنف والحوار وقبول الرأي الآخر.<sup>4</sup>

**البعد السياسي والمجتمع المدني:** لا بد من إعطاء المواطن الحق في المشاركة السياسية وتعزيز السيرة الديمقراطية من خلال انتخابات نزيهة، وإعطاء الأحزاب السياسية ومؤسسات المجتمع المدني دوراً في المعارضة البناءة القائمة على المواطنة الحقيقية. وكذلك حق الشعب في تقرير مصيره السياسي، وحقه في المشاركة في الاقتراع العام والترشيح للمجالس التشريعية والبلدية، إضافة إلى أنه يتضمن المساواة بين المواطنين أمام القانون في الحقوق والواجبات، وحرية الرأي والتعبير والمشاركة في إدارة الشأن العام، كحقوق الملكية والتعاقد والتنقل في إطار القوانين الوطنية والدولية.<sup>5</sup>

**البعد الاجتماعي والإنساني:** تمثل القضايا الاجتماعية بعداً أساسياً للمواطنة، فالمساواة المدنية تمثل شرطاً ضرورياً للانتقال إلى المساواة السياسية، وهذه الأخيرة كانت ضرورية لفتح الطريق أمام المساواة الاجتماعية، وهكذا فإن هذه الحريات المكتسبة تعزز بعضها البعض، فالمساواة السياسية تقوي المساواة المدنية وتحميها من التجاوزات المحتملة، والمساواة الاجتماعية تثري مضمون المساواة السياسية وتعطيها دلالتها الكاملة.<sup>6</sup>

**البعد الاقتصادي:** المواطنة لا تقتصر على الدائرة السياسية وممارسة الحقوق المدنية، فهي تحتضن كافة مظاهر الحياة في المجتمع، خصوصاً الناحية الاقتصادية التي أخذت أهمية متزايدة، ومن الضروري في هذا السياق تفادي تأثيرات السلبية للسياسة الاقتصادية على ممارسة المواطنة. فقد تسبب سياسة خفض الاستهلاك العام التي تمارس ضغوطاً على نفقات الحماية الاجتماعية والمصاريف المخصصة للخدمات العامة في إضعاف التضامن الاجتماعي وتزايد نسب اللامساواة.<sup>7</sup>

## الهوية:

الهوية هي نتاج صيرورة تاريخية دائمة التشكيل تتعرض باستمرار للهدم و إعادة البناء، فهي مجهود مستمر لغرض التمايز وإثبات الذات والخصوصية نجد أنّ الهوية هي النواة التي تقوم عليها شخصية الفرد كوحدة مركبة ودينامكية فهي تتكون من تجاربه واحتكاكاته بالواقع وكنتيجة للعلاقات والأحكام والتقدير التي يتلقاها من الأشخاص المحيطين به في مراحل حياته المختلفة.<sup>8</sup>

وعليه يعد مفهوم الهوية من المفاهيم التي تسجل حضورها في مجالات علمية متعددة، لاسيما في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، فهو متغلغل في عمق حياتنا الثقافية والاجتماعية اليومية. ويكافئ هذا المفهوم من حيث المبدأ الوجود الإنساني؛ ويقول ديكرت في هذا الصدد " لا شيء يقيني أكثر من وجودنا، وعليه فوجود الفرد اتجاهاته وسلوكاته في مواقف مختلفة هو ما يحدد هويته"

وللهوية وجه آخر مكمل لها وهو الانتماء الذي يعرف بأن معني موجود داخل كل فرد وعلي اختلاف المستويات، وهو الشعور الذي يوجد لديهم منذ الصغر ويقوي من خلال نشأة الفرد فيتكون لديهم هذا الشعور الذي يترجم لأفعال داخل المجتمع، فإذا كانت الهوية هي عملية الإدراك الداخلية لذاتية الشخص و التي تمدها عوامل خارجية يدعمها المجتمع، فإن الانتماء هو الشعور بهذه العوامل الخارجية و الذي يترجم من خلال أفعال تتسم بالولاء لهذه المجتمعات التي ينتمون إليها دون سواها<sup>9</sup>

## علاقة المواطنة بالهوية:

إذا كانت المواطنة مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين شخص طبيعي وبين مجتمع سياسي (دولة) ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء ويتولى الطرف الثاني مهمة الحماية، وتتحدد هذه العلاقة عن طريق القانون كما يحكمها مبدأ المساواة، ويشير هذا المفهوم أيضا إلى الالتزامات المتبادلة بين الأشخاص والدولة بحصول الأولين على الحقوق السياسية والمدنية من الدولة، ويكون عليهم . في الوقت نفسه . واجبات يؤدونها<sup>10</sup>

فلا تكتمل الهوية، ولا تبرز خصوصيتها الحضارية، ولا تغدو هوية ممثلة قادرة علي نشدان العالمية، على الأخذ والعطاء، إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان مشخص تتطابق فيه ثلاثة عناصر : الوطن والأمة والدولة

**الوطن** : بوصفه " الأرض والأموات "، أو الجغرافيا و التاريخ، وقد أصبحا كيانا روحيا، واحد، يعمر قلب كل مواطن : الجغرافيا وقد أصبحت معطي تاريخيا و التاريخ وقد صار موقعا جغرافيا .

**الأمة** : بوصفها النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة : وقوامها ذاكرة تاريخية وطموحات تعبر عنها الإدارة الجماعية التي يصنعها حب الوطن، أعني الوفاء " الأرض و الأموات " للتاريخ الذي ينبج، والأرض التي تستقبل وتحتضن.

**الدولة :** بوصفها التجسيد القانوني لوحدة الوطن و الأمة، و الجهاز الساهر علي سلامتهما و وحدتهما و حماية مصالحهما، وتمثيلهما إزاء الدول الأخرى، في زمن السلم كما في زمن الحرب . ولا بد من التمييز بين " الدولة " ككيان مشخص ومجرد في الوقت نفسه، كيان يجسد وحدة والوطن والأمة، من جهة، والحكومة أو النظام السياسي الذي يمارس السلطة ويتحدث باسمها من جهة أخرى . وواضح أننا نقصد هنا المعنى الأول .

وإذن فكل مس بالوطن أو بالأمة أو بالدولة هو مس بالهوية الثقافية والعكس صحيح أيضا: كل مس بالهوية الثقافية هو مس في الوقت نفسه بالوطن والأمة وتجسيدهما التاريخي: الدولة<sup>11</sup>

### العولمة:

يرى أرت شولت أن العولمة موضوع مثير للجدل، ومحل للخلاف، ليس بسبب غياب تعريف دقيق فحسب، بل أيضا بسبب تباين الحجج وأساليب القياس، إضافة إلى إشكالية التحديد الزمني والتفسير المقدم لها، وتعارض الأحكام المعيارية في شأنها، ويورد خمس محاور رئيسية للعولمة: التدويل، والتحرير (الخصخصة)، والتعميم (العالمية)، والتحديث، والتغريب.<sup>12</sup>

إن العولمة ككلمة رمزية تثير الجدل، فهي تتخطى حدود السياسة والمال، والإعلام والحركات الاجتماعية، والاهتمام العام والأكاديمي. والعولمة بوصفها تحديا سياسيا تتخطى الطيف الإيديولوجي، وتتخطى الحركات الاجتماعية والسياسات على كافة المستويات، فهي تتطوي على نقلة نوعية من مرحلة الدولة \_ الأمة، إلى سياسات النطاق الكوكبي.<sup>13</sup>

### عولمة المواطنة ومواطنة العولمة: جدلية الذات والغير

تعزز المواطنة خاصية الاختلاف كما الممارسة، أما العولمة ترى فيها إلا ضربا من ضروب عدم مجارات العصر؛ فالعولمة توحد في النظرة ووحدة في التمثل ( للاقتصاد كما للمجتمع كما للثقافة). وعلى هذا الأساس **فعولمة المواطنة** هي عولمة لذات النظرة وعولمة لذات التمثل. في حين ان **مواطنة العولمة** (بمعنى تلقيها بقيم المواطنة)، هي تعدد لها وتعدد لأبعادها. فلا يكمن خطر العولمة على المواطنة في هذا المستوى في كون الأولى نفي للثانية (مع قبول بوجودها)، ولا في إقصاء لأبعادها (مع الاعتراف بوجودها). ولكن أيضا في صهرها والعمل على أن تندغم في صلبها تصورا وتمثلا.

من هنا فبقدر اجتهاد المواطنة على تخليق العولمة، بقدر إمعان العولمة في صهر اختلافات المواطنة في صلب منظومتها وتحويلها إلى جزء منها لا قائمة لها بدونها.<sup>14</sup>

وفي هذا السياق، يمكن ذكر إحدى المفارقات الغربية التي تكشف عنها دراسات باحثين غربيين معاصرين، ما يدعو إلى الاعتراف بالطابع الكوني، مثل الحرية والمساواة والديمقراطية ...، ويسجن نفسه في خصوصيات هويته

الضيقة، ويتمادى في إقصاء هويات الآخرين وتهميشها إلى حد يبدو فيه أن هوية الغرب مسكونة بعقدة التفوق والاستعلاء على ما سواها من الهويات الأخرى.<sup>15</sup>

و من هذا الموقع الاستعلائي، نرى الدول الغربية المستحوذة على مقاليد الأمور في عالم اليوم تصر على مصادرة حق الآخرين في الاختلاف والاختيار وعلى احتكار امتياز صوغ القيم، التي تبدو أن لها وحدها الحق في منحها صفة الكونية والإنسانية، وهكذا نراها تسعى بجميع الوسائل إلى فرض رؤيتها الثقافية الخاصة بها على أنها القانون الكوني الذي يتوجب تعميمه والافتداء به في العالم بأسره.<sup>16</sup>

هذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤل التالي حول الذات والآخر: هل تريدني أن أكون مثلك أم تريدني أن أكون خضعا لك؟

واستنادا على ما تقدم مفهوم المواطنة وعولمته مفهوم يحمل متناقضين، فالأول يسعى إلى حماية مصالح القوى الكبرى من خلال التكتلات الجغرافية والسياسية (كالاتحاد الأوروبي، والمنظمات الدولية، ومنظمات المجتمع المدني...)، أما الاتجاه الثاني يتمثل في تفكيك وتجزئة أمم وقوميات وهويات وطنية لفرض سيطرتهم عليها؛ وهذا ما يشهده الوطن العربي والسعي إلى نشر قيم المواطنة التي أصبحت مدخلا ملائما لتفكيك الهويات والقضاء عليها، بحجة التعصب لثوابت الهوية من لغة ودين وقيم اجتماعية وروحية وارث حضاري مشترك يعد سلوكا لا ديمقراطيا منافيا للمواطنة.<sup>17</sup>

حيث يتناقض هذا الطرح الإيديولوجي الغربي وخصوصية الهويات القومية الأخرى وخصوصا الهوية العربية، فهو يسعى إلى إحلال الاعتبارات السياسية والإيديولوجية، في تصور المواطنة محل الاعتبارات التاريخية والحضارية، مما يجعل من الاعتراف بالهوية الفئوية أو القومية مجرد حق من حقوق المواطنة، في حين أنه لا مواطنة بدون هوية.<sup>18</sup>

وعليه أصبح التساؤل حول الهوية سؤالاً مركزياً في مرحلة العولمة الحالية التي ينظر إليها على أنها محاولة لبلورة هوية كوسموليتانية، هي في جوهرها هوية غربية معولمة، تقوم على أنقاض هويات الأمم الأخرى.<sup>19</sup>

ما جعل إفرزات العولمة هي أكثر نقطة يكمن فيها التضاد والممانعة مع دفعات الاختلاف والتعدد التي تقدمها، إذ لا تتعلق قيم الاختلاف تلك ومنظومة التعدد هاته بحق الأفراد والجماعات وتمثل حاضرم واستشراف مآلهم، بل أيضا في حقهم الطبيعي في التميز عن سواهم من أفراد وجماعات حتى وان كان الأمر في ذلك لا يتعدى كونه تميزا من اجل التميز؛ من هنا العولمة بما هي من جموح للتوحد والتوحيد، فهي أيضا استكثار لهذه القيم ولهذا الحق في هؤلاء وفيما سواهم من دول وتنظيمات وثقافات، لذلك مواطنة العولمة هي التي تندغم في منظومتها باقي منظومات الاقتصاد والسياسة والمجتمع والثقافة.... أي مواطنة الواجب لا الحق... مواطنة التلقي لا المشاركة...

مواطنة الانضباط لا الفعل... أي مواطنة تراكم رأس المال وتعمل وفق ما يرضاه فاعلوا العولمة ويرتضوه، فالعولمة تريد مواطنة تناسبها تنصهر في منظومة قيمها، تسايرها تفتح لها الطريق وتهيكّل لها فضاءها العام... السياسي منه والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وهي تريد فضاء عاما تسود بداخله قيم السلعة وواجبات ( لا حقوق) اقتنائها، قيم الامتثال لا قيم التشاركية والحوار، قيم العالمي غير واضح لا قيم المحلي الملموس.<sup>20</sup>

### الهوية بين الوحدة و التنوع في ظل العولمة:

والحديث عن التعددية الثقافية لا يتعلق بالتنوع باعتبار وجوده سلبا كان أو إيجاباً، فمن أهم ما تتميز به البشرية هي اختلاف الثقافات وتنوعها، فكل ثقافة تختلف عن الأخرى بسبب مسارها التاريخي الخاص ومميزاتها التي تجعل منها فريدة من نوعها. ومن منظور عولمة المواطنة يعد التنوع والتعدد الهوياتي والثقافي مشكل يواجه هذا المفهوم.

✓ فكيف يمكن أن نحقق الوحدة والشعور بالانتماء إلى وطن واحد في ظل هذا التنوع؟.

✓ وكيف يمكن أن نحافظ على هذا الإرث الإنساني في خضم جموح العولمة وتنميط البشرية؟.

وعليه الشعور بالانتماء الذي يعد من المرتكزات الأساسية للمواطنة، يرتبط بشعور الأفراد المختلفون في الدين والمذهب والثقافة والخلفية الاجتماعية والارتباط السياسي، بالانتماء إلى الوطن دون تهميش أو إقصاء، فان ذلك يؤدي تلقائياً إلى الاندماج وانصهار كل المواطنين معا في كيان سياسي واحد دون التفرقة بينهم. ما يتيح لهم فرصة التعايش والمشاركة في إدارة هذا الوطن وما يمكن أن ينتج هذا التنوع من آثار تساعد في تقوية روابط المواطنة بين المكونات المختلفة.

أما إذا غاب أو ضعف هذا الشعور بالانتماء إلى الوطن، فان ذلك ينعكس سلبا على التكامل الاجتماعي، في هذه الحالة يشعر الأفراد بان الوطن لم يعد لهم، والهوية الوطنية لم تعد تستوعبهم، فيتجهوا مباشرة إلى ما يطلق عليه **الولاء الأضيّق** أي الاحتماء بالقبيلة والعشيرة والجماعة الدينية، فيتحول الانتماء إلى عالم مصغر يعيش فيه الفرد وينتمي إليه على حساب الانتماء الوطني الشامل.<sup>21</sup>

هذا ما نشهده في علمنا العربي اليوم وخاصة عند فئة الشباب فهم في حالة اغتراب سياسي، فالهوية الوطنية ضاقت عن استيعابهم، فاختاروا هويات جديدة من صنعهم؟؟؟ **هويات تفكيكية**، تبعثر أكثر مما تجمع، فلقد قطع أجيال الألفية الثالثة كل صلة تقريبا بعالم آبائهم البطيء والمليء بالحكايات الحميمية، أو ما يسميه **"بعالم القصص الأسطوري"** الذي تستمد منه الشعوب المتدنية رؤيتها وتفسيرها للوجود والتاريخ، عالم هؤلاء الشباب يأتيهم مباشرة بالصوت والصورة من كل نقطة في الكون، بقدر ما يفصلهم عالمهم عن عالم آبائهم، يفصلهم عن أنفسهم عن ثقافتهم وبعض مكونات هويتهم، وهو ما يدخلهم في صراع وتمزق بين ذواتهم وعوالمهم، ينعكس هذا الصراع

الخفي في شكل تصدعات خطيرة داخل حياة اللهو والمجون إلى التطرف الديني<sup>22</sup>

وعليه لا تزال مشكلة الهوية من أعوص مشاكل الثقافة العربية على الإطلاق، بحيث يعيش الفرد العربي تمزقات نفسية واجتماعية وسياسية كارثية، فقط بسبب الميراث الهوي، وهنا يمكن أن نلاحظ بكل سهولة أن الأنظمة السياسية الشمولية والفاقة لأي شرعية ديمقراطية، تتمرس خلف خطابات الهوية، وهي من يحرك الثقافة نحو التعبئة الجماهيرية، وتضخيم الذات إيديولوجيا، وفي هذا الصدد يرصد **ستيوارت هول** " علاقة طردية بين غياب الإدارة العامة التي هي مبرر وشرعية وجود الدولة، وبين تزايد سياسات استشعار الهوية واستثارة رمزيتها قصد الهيمنة.<sup>23</sup> واستنادا إلى ما سبق:

✓ هل يمكن اعتبار عولمة المواطنة خطوة من الآخر الذي يمتلك القوة السياسية ورأس المال والتقنية والتكنولوجيا، من اجل سيطرته على العالم تحت ذرائع ومسميات تضيي طابع المشروعية؟.

✓ هل نتخلى عن انتماءاتنا وهوياتنا الوطنية في سبيل إثبات وجهة جديدة حول ما يسمى المواطن الكوني أو العالمي؟

✓ أم يمكن لنا من خلال هذه الانتماءات والهويات والممارسات الديمقراطية في أوطاننا أن نحقق المواطنة العالمية؟.

**تعقيب:**

يرى **علي حرب** أن الدخول في المجتمع الإعلامي والعصر الكوكبي المعولم، أسهم في فقدان الأمن الثقافي والرمزي الذي كانت تتمتع به الهويات بسبب تصدع الحواجز بين الدول والمجتمعات واجتياح الرموز والصور والأفكار وأنماط العيش. فالموجات الجديدة والاختراعات الفائقة والتحويلات الصاعقة، والبث المتواصل عبر مدار الساعة والتغير الدائم في المعطيات.... كل ذلك يولد حالة من الحيرة والارتباك وعم الاستقرار، بقدر ما يجعل من المتعذر السيطرة على قوانين التغيرات أو التحكم بنظام الأشياء وتلك هي مفاعيل **الحياة السائلة** معها يشعر الفرد بأنه مقصر وفي تأخر دائم على ما يستجد مهما بذل وجدد، بقدر ما تفقد الهويات حصونها الرمزية وأمكنتها المسيجة ومناطقها الحميمة.<sup>24</sup>

**الخاتمة:**

إن العولمة تيار جارف يأتي على كل ما هو جامد ومتكلس، نفص مستمر للبداهيات والاعتقادات، فهي أخطر من مجرد حقبة جديدة أو بدعة روحية أو تقدم تقني غير مسبوق ؛ إنها لغة جديدة لنمط جديد من الجماعة البشرية، صارت مشاكلها مشاكل حيوية ومدنية معا بلا رجعة. فالعولمة باختصار ثورة مستمرة يصعب بل يستحيل التنبؤ بها.<sup>25</sup>

وبهذا فهي تهدد استقرار البناء الاجتماعي وتدخله في صراع بين الهوية الوطنية والمواطنة العالمية أو الكوكبية، وبين الشعور بالاغتراب وفقدان الهوية والخصوصية الوطنية؛ والتطلع إلى التطور والعصرنة بما يتماشى مع الركب العالمي، هذا ما يدخلنا في معادلة صعبة المنال؛ ثنائية (الأصالة والمعاصرة)، الأولى تعني الحفاظ على الذات الذي يعني الانسحاب من العالم والركب الحضاري في حين أن الثانية تعني الانخراط في الحضارة يستدعي رفض الذات هذا ما يلخص أجديات هذه الأمة وماهيتها وهي تعبير واضح عن التخلف الحضاري الذي تعيشه هذه المجتمعات، حيث أنه من خصائص المجتمعات التي فقدت مدنياتها والتي تعيش تخلفاً حضاري أن تتفاوت فيها الثقافة مع الحضارة، وأين يتعارض فيها مطلب الهوية أو الذات مع مطلب الحداثة.<sup>26</sup>

وفي العكس يرى على حرب أن " العولمة ليست كارثة ولا هي فردوس، وإنما هي إمكاناتها المفتوحة عند من يحسن التعامل معها بمنطق الخلق والتحول والاستثمار النافع والبناء".<sup>27</sup>

## المراجع:

- <sup>1</sup> ديوان اصديقاء المغرب: المواطنة . تعريفها . مفهومها . مقوماتها، groups.google.com/d/topic/fayad61/EwUOtrQxcl، 2011/07/21
- <sup>2</sup> حمزة إسماعيل أبو شريعة: المواطنة ودورها في بناء ثقافة الديمقراطية، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 41، ملحق 1، 2014، الأردن، ص 550.
- <sup>3</sup> صباح عمر باهادي: المواطنة من التربية إلى الانتماء، جريدة عكاظ، 17 سبتمبر 2013، حمل بتاريخ: 2016/11/02.
- <sup>4</sup> أحمد جوارنة، وآخرون: التربية الوطنية، جامعة اليرموك، 2010. ص 30، 31.
- <sup>5</sup> حمزة إسماعيل أبو شريعة، مرجع سبق ذكره، ص 552.
- <sup>6</sup> سيدي محمد ولد ديب: الدولة وإشكالية المواطنة، ط 1، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، 2011، ص 50. 51.
- <sup>7</sup> سيدي محمد ولد ديب، المرجع السابق، ص 52.
- <sup>8</sup> محمد العربي ولد خليفة: مسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 2003، ص 293.
- <sup>9</sup> محامدية إيمان هادفي سمية: نحو رؤية سوسولوجية في مفهوم الهوية الثقافية والعولمة، الملتقى الدولي الثاني حول: المجالات الاجتماعية التقليدية والحديثة وإنتاج الهوية الفردية والجماعية في المجتمع الجزائري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
- <sup>10</sup> محمد عاطف غيث وآخرون: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2006، ص 56.
- <sup>11</sup> محامدية إيمان هادفي سمية: مرجع سابق.
- <sup>12</sup> العياشي عنصر: العولمة والتطرف نحو استكشافات علاقة ملتبسة، مجلة سياسات عربية، العدد 21، تموز/يوليو 2016، ص 9.
- <sup>13</sup> جان نيدر فين بيترس، تر: خالد كسروي: العولمة والثقافة \_ المزيج الكوني، ط 1، المركز القومي للترجمة، مصر، 2015، ص 23.
- <sup>14</sup> ثائر رحيم كاظم: العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد 1، المجلد 8، 2009، ص 262.
- <sup>15</sup> عبد الرزاق الداوي: في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات . حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة . ط 1، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013، ص 107.
- <sup>16</sup> عبد الرزاق الداوي، مرجع نفسه، ص 108.
- <sup>17</sup> سيدي محمد ولد ديب، مرجع سابق، ص 66.
- <sup>18</sup> سيدي محمد ولد ديب، مرجع نفسه، ص 67.
- <sup>19</sup> سيدي محمد ولد ديب، مرجع سابق، ص 68.
- <sup>20</sup> ثائر رحيم كاظم، مرجع سابق، ص 263.
- <sup>21</sup> سامح فوزي: المواطنة، ط 1، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، مصر، 2007، ص 19.

<sup>22</sup> اسماعيل مهنانة: العرب ومسألة الاختلاف . مأزق الهوية والأصل والنسيان . ط 1، منشورات ضفاف، بيروت، 2014، ص 51.

<sup>23</sup> إسماعيل مهنانة، مرجع سابق، ص 70

<sup>24</sup> علي حرب: تواطؤ الأضداد . الآلهة الجدد وخراب العالم . ط 1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2008، ص 39.

<sup>25</sup> اسماعيل مهنانة، مرجع سابق، ص 49.

<sup>26</sup> رشيد حمدوش: بناء الهوية عند الشباب الجزائري أو ميلاد الهويات الصاعدة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 11، جوان 2013، الجزائر، ص 99.

<sup>27</sup> علي حرب، المرجع السابق، ص 29.